الأشكلة الفلسفية للذكاء:
من ذكاء الإنسان إلى ذكاء الآلة؛ هل نحن أمام ثورة كوبرنيكية في الذكاء؟

Philosophical problems of intelligence: from human intelligence to machine intelligence. Are we facing a Copernican revolution in intelligence?

د. إيمان عامر

جامعة قالمة (الجزائر)

ameur.imene@univ-guelma.dz

تاريخ الإرسال: 2024/12/09 **تاريخ القبول:** 2025/01/31

ملخص: تسعى هذه الدراسة إلى إبراز أهم التحولات الكبرى التي شهدها الفكر الإنساني المرتبطة خاصة بالتقنية، لعل أبرزها تقانات الذكاء الاصطناعي، التي باتت تحل محل الفرد في أداء بعض المهام، بل أغلبيتها، وبالتالي صار التخوف من مآلات هذه الآلات واردا، خوفا من تمردها على الإنسانية، باعتبارها آلات ذكية دون وعي، هنا انفتح الملف الفلسفي الذي تغنى طويلا بفلسفات العقل والذكاء الإنساني، كدراسة نقدية ليُسائل هذا التطاول الخطر عليه، لأجل ضبط كل خطر على الإنساني، وبما أن التطور التقني فاق الحدود بات من الضروري السعي إلى أشكلة علم تلك الأنظمة الذكية، التي احتلت الكون اليوم، خوفا من الانقلاب على الانسان، مُؤسسة ما يعرف بمركزية الكون في مقابل السيادة العقلية.

الكلمات المفتاحية: الفلسفة، النقد، التقنية، الذكاء الاصطناعي، الآلة، الأخلاقيات.

Abstract:

This study focuses on highlighting the most important major transformations that human thought has witnessed, especially related to technology, perhaps the most prominent of which is artificial intelligence technologies, which have come to replace the individual in performing some tasks, or even most of them, and therefore fear of the consequences of these machines has become apparent, for fear of their rebellion against humanity. As intelligent machines without

awareness, here the philosophical file that has long been rich in the philosophies of the mind and human intelligence was opened, as a critical study to question this dangerous attack on it. In order to control every danger to humanity, and since technical development has exceeded the limits, it has become necessary to seek to problematize the science of those intelligent systems, which have occupied the universe today, for fear of turning against man, establishing what is known as centralization over the universe as opposed to rational sovereignty.

***keywords**:* Philosophy, criticism, technology, artificial intelligence, machine, ethics.

مقدمة:

شهدت الحضارة الإنسانية تطورا غير مسبوق النظير من ناحية العلوم خاصة التقنية إضافة إلى التطور التكنولوجي في كافة المجالات سواء الطب والبيولوجيا، وتغيير كافة الأسس الطبيعية للإنسان، كإمكانية الانجاب بدون حمل، والهندسة الوراثية، وتغيير الجمال عبر عمليات التجميل وزراعة الأعضاء، وحذف التشويه الجسدي والصفات غير المرغوب فيها من قائمة الصفات البشرية، وكذلك العمل على تحسين الذكاء البشري وتطويره، عبر التجريب عليه وتعريض حياته للخطر، وهذا الأمر يثير القلق كون الإنسان كائن يتمتع بالكرامة والقدسية، التي تمنع كل تدخل يمس جسده أو هويته، وقد استأنفت التقنية في التطور والتغول على الإنسان، وتهديده خاصة مع التمادي الرهيب في حقل الذكاء الاصطناعي الذي ينذر بثورة جديدة تحل فيها الروباتات محل الانسان، وتتبادل المهام معه بل تفوقه في أدائها، وبالتالي تراجعت مكانة الإنسان الذي كان سيدا على الكون وعلى الطبيعة منذ القديم، وأصبح مهددا باقتحام الروبوتات الذكية حياته، ونفيه، والانقلاب عليه في بعض الاحتمالات، خاصة وأنّ العلوم الحسابية والتقنية والرياضية في تطور مستمر فبات من المعقول أن تقوم نظرية ما بتدمير الإنسانية، انطلاقا من هذه المخاوف تنطلق الفلسفة كفكر نقدي بناء يفكك الواقع، لأجل وضع حدّ للانتهاكات الاصطناعية على الإنسان، وضبطها، ونشر الوعي الضروري لعقلنة حقل علوم الذكاء الاصطناعي، خاصة

في مسألة الذكاء، وما ينجم عنه من أمور لا معقولة قد تكون مدمرة للعقل البشري، عبر زيادة معدل الإدراك الصناعي مقارنة بالطبيعي فتحدث فجوة كبيرة في الكون، أو ربما من خلال تبديل قطع غيار البشري بغيار صناعي..إلخ، على اثر هذه المخاوف، تُعنى الفلسفة الراهنة إذا بالدفاع عن مركزية الإنسان المعاصر الذي يعيش جملة من الأزمات الغريبة التي تنذر بفنائه، واختراق قدراته العقلية المنطقية التي لها قدرة كبيرة على التفلسف والنقد ومجابهة المشكلات، كون مقدرة الآلة على الوعي هي تقريبا منعدمة، إذ تتمتع بأساليب الإدراك والتحليل والاستنتاج والحساب وحل المشكلات، لكن دون وعي أي أنها مبرمجة على الذكاء الاصطناعي فقط، أما الذكاء الإنساني بقياة الوعي فهو ضروري، وإلا انقلب العالم رأسا على عقب جراء الأفعال والأعمال اللاواعية، وبالتالي تستشكل الفلسفة الكثير من المهام التي سببتها الثورة الصناعية الرابعة، خاصة فيما يخص الذكاء البشري المهمش في خضم سيادة الصناعي، والتخوف من غياب الوعي في المهام المنوطة لهذه الآلة، فيصبح العالم يعيش في فوضى ودمار، إذ تطرح في هذا السياق الكثير من الإشكالات من قبيل ضرورة استخدام الذكاء الاصطناعي لتقليص الكثير من المهام على الإنسان، ومساعدته والتطوير من فعل الذكاء في حد ذاته على مستوى الأمم والدول، وبالتالي تكون مهمة الفلسفة إيضاح التحليلات التي تتجاوز وتتعدى على الإنسان، وإبراز الحاجة إلى الوعي الإنساني في الاستمرار، وعدم إزاحة الانسان من المركزية الكونية ووضع مكانه آلة صنعها بنفسه، وبالتالي نطرح التساؤل التالي: هل يشكل الذكاء الاصطناعي تهديدا على وعي الإنسان؟ وكيف يمكن للفلسفة تصويب نظرتها الناقدة على هذا الاشكال؟

للإجابة عن تلك الإشكاليات، سنتعرض لعدة عناصر وتحليلات برؤية فلسفية.

1- الوعي الفلسفي في مجابهة الأزمات:

لطالما عرف الواقع الإنساني العديد من الأزمات، الذاتية والكونية، وأخرى متعلقة بوجوده الذي هددته الحروب وانتشار الأوبئة الفتاكة والقاتلة، وفي محيطه مشكلة أزمة بيئية ناهيك عن اضطراب العلاقات الإنسانية وانتشار الهيمنة والاستبداد، إذ تقف الفلسفة دوما محل وجود المشكلات الإنسانية العويصة، بغية تشخيصها ومحاولة إيجاد حلول للإنسان

المتأزم، فلم يعد البحث الفلسفي بحث في عالم المثل والكماليات المطلقة، بل أصبح انخراط في العالم الراهن، والتخلص من النظر وبداية العمل.

فالنظرة الى الفلسفة كانت مقتصرة على أنها ترف عقلي لا يغني عن الحق والواقع شيئا وتفكير عاجي مقطوع الأسباب بواقع الحياة ومشكلات الجماهير، وبين هذا وذاك يتناسى الكثيرون أن العلاقة بين الفلسفة والحياة علاقة لاتنفصم عراها، فهي لصيقة بقضايا المجتمع وهموم العصر الذي أفرزها[1]. وما الفلسفة الآن إلا عملية تشخيص للواقع المعاش، ومعالجة أمراضه، مع بيان خصائصه ومميزاته، حتى نتمكن من إصلاحه إن لزم ذلك، وتغييره إن لزم التغيير[2]. اذن فان الفلسفة أصبحت اليوم مرهونة بطابعها العملي، لتدخلها في كافة المواضيع برؤى نقدية، بغية علاج المجتمع من الأمراض التي تستنزفه، وإيقاظ الوعي، خاصة في العصور الحالية والتي شهدت أحداثا مروعة، بات من الضروري للإنسان الاستفاقة من سباته الأنطولوجي، ومحاولة إنقاذ ذاته من كل خطر يهدد وجوده، مع متغيرات الواقع التي عصفت بحياة الانسان، من قبيل الحروب والنزاعات وغيرها.

إن الأزمة التي يحياها الإنسان المعاصر في عالم مابعد الحداثة، هي أزمة أسس، أزمة في الحقوق والعدالة، إنه عصر العدمية الذي أشار إليه "نيتشه"، إضافة إلى ظهور التقنيات التي أصبح الإنسان خاضعا لها[3]. اذن يعيش الإنسان المعاصر أزمة اهتزت أسسه المحورية فيها وأصبح من السهل اختراق مشاكله وحياته، بفعل الكوراث التي يحيا فيها، والتي تنهش حياته من كل الجهات، إضافة الى غياب حقوقه وانتهاكها، وصارت كلّ القيم لاقيمة لها تحت مفهوم العدمية الذي صرح به الفيلسوف الألماني "فرديريك نيتشه"، والذي يؤكد على غياب القيم وفقدان الأخلاق، وتخلخل أسس الإيمان تجاه كلّ الضوابط التي كان يستند إليها الإنسان، ومع التغطرس التقني "ومحاولة العلماء التدخل في التركيب الوراثي للإنسان وتحويله الى كائن ذي صفات خاصة يحددونها هم، ماهو إلا تدخل في الإنسان واستقلاليته، وكلها سمات تشكل عنصرا أساسيا من تكوينه الإنساني، فإذا فقد حريته فقد أيضا إنسانيته"[4]، إذن يتخذ فعل التفلسف منحى بارزا في النظر في الأزمة التقنية التي هددت الإنسان وسلبت منه إرادته وحريته التي تحدد مصيره، وخاصة القدسية التي يتمتع بها

على خلاف الكائنات الأخرى، فإذا دخلت مضمار التجريب فإنها بطبيعة الحال سوف تصبح بلا قيمة، فعند تمازج التجريبي بالتقني أنتج لنا اكسير موت محتم صنعه الإنسان بيده، لأن منجزات التقنية باتت تغير من مفهوم الطبيعة البشرية التي عبر عنها "فوكوياما" في كتابه عواقب ثورة التقنية الحيوية بقوله "إن أخطر تهديد تمثله التقنية الحيوية المعاصرة هو احتمالية أن تقوم بتغيير الطبيعة البشرية"[5].

إنّ التجريب المكثف على الإنسان جعل منه أشلاء لأنّ منجزات العلم لم تعد تتوافق وهذا التدخل القوي على الإنسان، فتجمع الفلسفة عدتها النقدية في مبحث البيوإتيقا لمحاكمة كلّ تعدي ينتقص من قيمة الطبيعة البشرية الخيرة، لأنّ التعدي عليها ينقص من قيمة الإنسان ويجعله كائن فاقدا للقيم، وتعرف البيوإتيقا على أنها محاولة لوضع أخلاقيات لعلم البيولوجيا، وعقلنة الممارسات لكي يتوقف التطاول المستمر على جسد الإنسان ومنع التجريب عليه.

وتسعى التقنية إلى فكرة تغيير الإنسان إلى الأفضل تحت مسمى "السوبرمان" الذي يتمتع بإرادة القوة، خلافا للمفهوم الطبيعي للإنسان العادي، ويسعى أصحاب هذا التطور إلى تجاوز الصفات الطبيعية نحو صفات أكثر تطورا، وهذا لعدة أغراض، لعل أعنفها السيطرة على العالم، ومواكبة التطور الموجود في العلوم التقنية والبيولوجية، لأن الإنسان المتطور لايعرف عنوانا للكسل والمرض ولمتوسط أمد حياة قليل أو لإرهاقات الشيخوخة وإنما يسعى إلى بلوغ النشاط وزيادة نسب الإنتاج والقضاء على الخمول والغباء وغيرها "إذ يدفعنا مشروع التحسين، وقد تألفت مرجعيته من ثنائية، الفلسفة التطورية والنتائج العلمية للهندسة الوراثية، إلى البحث عن مساراته، ماهي النتائج المحصلة من هذا البرنامج؟ فهو لايثير قلقا اتيقيا فقط، بل يتعداه الى حيرة أنطلوجية، انه يعني وجود الإنسان وإنسانيته"[6]. وهو مشروع قيد الإنجاز عبر دراسات عديدة لزيادة معدل التطور البشري من ناحية الشكل ليبدو أكثر جمالا وقوة وعبر زيادة معدل الذكاء لأنّ معدل الذكاء الإنساني العادي لم يعد ملهما في عالم تسوده التقانة، وهو متراجع نوعا ما بالنسبة إلى

وجهة نظر بعض المتحمسين لعلم الأنظمة الذكية، وبالتالي يلجأ إلى الذكاء الاصطناعي في جسد ذلك الإنسان ليصبح خارقا للعادة.

وتتعلق أطروحة مابعد الإنسان "بعلم الروبوتات وتكنولوجيات الأعضاء الصناعية وعلم الأعصاب والهندسة الوراثية"[7]. فكل العلوم الآنف ذكرها تعمل معا، للخروج بنسخة من إنسان جديد مختلف عن القديم، عبر التشريح الجيني الذي تتكفل به الهندسة الوراثة وتغيير بنيته الجسدية لتصبح أكثر قوة، إضافة إلى العلوم التي تزيد في نسبة الذكاء والتكفل بجعل الانسان شبيها بالآلة، وهذا لأن المعطيات التقليدية لجسد الإنسان المعاصر لم تعد تتماشى مع العلوم التقنية، بالإضافة إلى أن هكذا مشاريع هي مشاريع مربحة بالنسبة للسياسيي الدول، فكل طرف يرغب في جعل نفسه سيدا على العالم.

وبالتالي يصعد مضمون حقل الذكاء الاصطناعي إلى منصة الحديث في العلوم الحالية اذ تعالت الأصوات المنادية بحتميته، لما له من مزايا في الحياة، لكن الريادة في الذكاء الاصطناعي جعلت العالم اليوم يعيش على أسسه، وجعل الإنسان يقف على أعتاب ذكاء رقمي جديد، لكنه فاقد للوعي، عكس الذكاء البشري الذي ينتج الأفكار الخالصة بكل منطقية، وبالتالي ماهو مصير الإنسان في ظل العالم الصناعي اليوم، وهل يرقى الذكاء الاصطناعي الى مصاف الذكاء البشري، وماهي طبيعة العلاقة بينهما؟

2– في ماهية الذكاء الاصطناعي:

إن الذكاء الاصطناعي هو ثورة جديدة تنتمي إلى الثورة الصناعية الرابعة، ومن آخر ما توصلت إليه العلوم التقنية، خاصة وعلوم الكومبيوتر، من أجل جعله شبيها بالعقل الإنساني في برمجة عدة وظائف، اذن فماهو هذا الذكاء الذي سيوازي الذكاء الإنساني ويفوته؟ وماهي التحديات التي يطرحها؟

الذكاء الاصطناعي مبني على أساس الادعاء بأنه من الممكن وصف ومحاكاة الذكاء البشري في أنظمة وأجهزة تقنية، لذلك فإنه أيضا يعرف بأنه دراسة وتصميم أنظمة أو أجهزة تصور البيئة المحيطة بها لكي تتصرف تصرفات تحاكي التصرفات البشرية[8]. اذن

فالهدف الرئيسي من الذكاء الاصطناعي هو خلق روبوتات ذكية عبر تكنولوجيات حديثة بالإضافة الى علوم تقنية ورياضية، لتحاكي العمل الإنساني، وتساوي الإنسان في التصرفات والتفكير، ولاسيما آداء المهام التي يقوم بها الإنسان، غير أنّ للروبوتات ميزة من قبيل السرعة وغياب التعب الجسدي وغير ذلك، ليستفيد منها المجتمع على المستوى الإنتاجي.

كما أن الذكاء الاصطناعي هو سلوك وخاصيات معينة تتسم بها البرامج الحاسوبية تجعلها تحاكي القدرات الذهنية البشرية وأنماط عملها، من أهم هذه الخاصيات القدرة على التعلم والاستنتاج، ورد فعل على أوضاع لم تبرمج في الآلة[9]. إضافة الى الآداء الجسدي والقيام بأمور ونشاطات، يتقصد برنامج الروباتات الاصطناعية إلى القيام بأعمال ذهنية، أي أنها تحاكي العقل الإنساني، من قبيل القيام بأنشطة ذهنية، الحساب والهندسة، والقيام بعمليات حسابية كبيرة في وقت قياسي، والتسيير واكتساب المهارات عبر قابلية التعلم التي تتميز بها، والقدرة على التحليل والاستنتاج والتفكيك، والقيام بردود أفعال عند مهاجمتها ولاتكتفي بالمكوث كونها مجرد آلة، وبالتالي تتطلع إلى بلوغ نفس الصفات الإنسانية، سواء من ناحية الحركات الجسمية والآداء البدني، أو عبر الآليات العقلية، ومبادئ البرمجة العقلية.

ويمتاز حقل الذكاء الاصطناعي بـ "دراسة وتصميم العملاء الأذكياء، والعميل الذكي هو نظام يستوعب بيئته ويتخذ المواقف التي تزيد من فرصته في النجاح في تحقيق مهمته أو مهمة فريقه، "جون ماكارثي" الذي صاغ المصطلح سنة 1956، عرف بأنه علم هندسة وصناعة آلات ذكية"[10]. إذن فإن الهدف من صنع تلك الآلات الذكية، هو صنع روبوتات تمتاز بمهارات إنسانية فقط، وإنما التطلع إلى وجود عملاء يشاركون في المهام الصعبة والحاسمة، وإنجاح تلك المواقف بنسبة عالية ومضمونة، عبر الذكاء المبرمج عليه، لأنّ الإنتاج هو هم كل الدول والسياسات، التي تسعى الى جلب عاملة ذكية، وفي نظرهم سيلبي إنسان الذكاء الاصطناعي إن صح القول، كل تلك المهام.

أما عن أهداف الذكاء الاصطناعي فإنه "ثمة هدفان أساسيان للذكاء الاصطناعي الهدف الأول تكنولوجي، استخدام أجهزة الكومبيوتر لإنجاز مهام مفيدة (وتوظف في بعض الأحيان طرقا غير التي يستخدمها العقل تماما). الهدف الثاني علمي، استخدام مفاهيم

الذكاء الاصطناعي ونماذجه للمساعدة في الإجابة عن أسئلة تتعلق بالإنسان وغيره من الكائنات الحية"[11]. بطبيعة الحال يهدف مؤسسو الذكاء الاصطناعي إلى اعتبار أن تلك الآلات يمكن أن تجاري وتحاكي الذكاء الإنساني عبر القيام بنفس المهام، وتزيد عنها في السرعة، وتوظف مناهج جديدة لا يحتويها العقل الإنساني، وبالتالي تفوق القدرة الإنسانية في آداء المهام، كما تتكون هذه الأنظمة الذكية من معرفة شاملة حول الإنسان وطبيعته والبيئة وكل الكائنات الأخرى، هذا الأمر الذي يجعلها تتجاوب مع كافة القرارات والمهام.

ويعرف أيضا أنه "ذلك السلوك وتلك الخصائص التي تعتمد عليها البرامج الحاسوبية المختلفة، وتتماشى مع القدرات الذهنية البشرية في الأعمال المختلفة، ومن أهم تلك القدرات قدرة الآلة على التعليم واتخاذ القرارات الصحيحة، ويكتسب الذكاء الاصطناعي المعلومات عن طريق الممارسات العملية، كما أنه قادر على التمييز بين القضايا المتعددة بشكل دقيق"[12]. للذكاء الاصطناعي القدرة على اكتساب الكثير من المهام وتصنيفها ومعالجتها بشكل دقيق، سواء في التعليم أو في المهن الأخرى.

ومن أبرز سمات الذكاء الاصطناعي، التي تميزه وتميز محتواه، هو العمل المتواصل المحدد في القدرة على القيام بالمهام التالية، التي سنذكر بعضا منها:

- التعلم والاستفادة من التجارب السابقة.
- قدرة تحمل الموقف المعقدة.
- حل المشكلات عند نقصان المعلومات الهامة.
- التصرف بشكل سريع وصائب.
- فهم واستيعاب صور مرئية.
- معالجة الرموز والحروف.
- القدرة على الإبداع والخيال[13].

إذن يتميز الذكاء الاصطناعي بعدة مهام من قبيل القدرة على القيام بمهارات عملية وأخرى تعليمية، ومواجهة المواقف مثل مايواجهها الإنسان، ومعالجة الأخطاء الموجودة في النصوص لتسهيل المهام الأخرى، إضافة الى الترجمة بطريقة ذكية، وإبداع الكثير من السلوكات التي تسهل المهام اليومية، خلافا للمهام التقليدية التي تأخذ الكثير من الوقت.

إن هذه الامتيازات التي يتمتع بها آلات الذكاء الاصطناعي، هي أعمال مميزة من مميزات الثورة الصناعية الرابعة، وتساعد في الكثير من الأحيان على اختصار الوقت والجهد وعلى الإبداع التقني، لكنها تطرح الكثير من التحديات على الإنسان، من قبيل تهميشه والنذر بعصر آخر تهمش فيه مكانة الانسان، بعد أن شهدت تهميشا منذ العصر الحديث تستعد فلسفة الذكاء الإنساني إلى النظر في مركزية الذكاء الاصطناعي، الذي أصبح مستحوذا على العالم، وتقريبا على أكبر التعاملات العالمية، وهذا الأمر الذي يطرح العديد من التساؤلات الفلسفية عن أهلية هذا الذكاء التقاني، خاصة في غياب الوعي، وعن مكانة الذكاء الإنساني الذي يحدد مكانة الانسان بصفة عامة في عالم اليوم.

3- جدلية ذكاء البشر والآلة:

تتحدد الجدلية القائمة بين الذكاء الإنساني والاصطناعي، في محاولة تغليب طرف على آخر، إذ أن الذكاء الإنساني يتمتع بالمعرفة النقدية والتحليلية المنطقية الواعية التي لا يجازيها أي تطور تقني، بينما يتمتع الذكاء الاصطناعي بمعارف قائمة على التحليل والاستنتاج والحساب والسرعة غير أنها تبقى آلية مبرمجة، اذ ينهم رواد الذكاء الاصطناعي بالبحث عن حلول كإدراج التفكير المنطقي الإنساني على تلك الروبوتات.

لنفترض أن أداء أنظمة الذكاء الاصطناعي العام المستقبلية (تتساوى مع البشر أو الروبوتات) تتساوى مع أداء البشر، هل ستتمتع تلك الأنظمة بذكاء حقيقي أو فهم حقيقي أو إبداع حقيقي؟ هل سيكون لديها ذوات أو مكانة أخلاقية أو اختيار حر؟[14] الكثير من الأسئلة الفلسفية التي يثيرها إنتاج الآلات المادية وتقديسها من ناحية الذكاء لأنّ تلك الآلات تقوم بآداء الواجبات المختلفة، وتحل الكثير من المسائل التعليمية والمشكلات اليومية، لكن تفكيرها لا يتساوى مع تفكير الإنسان الذي يتميز بالوعي والقدرة على الإبداع الخلاق والتفكير المنطقي العقلاني الحقيقي.

بحسب أرسطو إن التفكير الصحيح هو العمليات السببية المفحمة، وعلى أساسه الأنظمة التي تبنى لإعطاء استنتاجات صحيحة بشكل دائم يجب أن تعطى مقدمات منطقية صحيحة، وهي عبارة عن عمليات منطقية يؤديها الدماغ البشري والتي كانت أساس تطوير

علم المنطق، وهناك برامج ذكاء اصطناعي تحاول توفير إمكانية توصيف هذه المشكلة بعد مدها بالمعلومات المنطقية[15]. يستند الإنسان في تفكيره اليومي إلى عمليات منطقية وليس تفكيرا عشوائيا، تلك العمليات ينطلق منها العقل عبر الاستناد إلى مقدمات صحيحة لكي تكون النتيجة ملائمة وصحيحة، وإن استندت إلى مقدمات خاطئة فإنها ستكون خاطئة بطبيعة الحال بالرغم من كل الجهود، لكن الآلات لا تستخدم هذه الطريقة في التفكير مما سيجعلها، محل انتقادات لأنّ طبيعة تفكيرها غير صحيحة، ولأنها لاتخلق المقدمات من صميم ذاتها وإنما تتزودها من الطرف البشري، وبالتالي تختلف طبيعتها المنطقية مع الإنسان ولا يمكن مساواتها به.

إذن، يشكل الذكاء الاصطناعي تحديا وإلهاما للفلسفة، لزعمه القدرة على إعادة خلق قدرات العقل البشري، هل هناك حدود لمدى ذكاء الآلات؟ هل هناك فرق جوهري بين الذكاء البشري والذكاء الاصطناعي؟ وهل يمكن أن يكون للآلة عقل ووعي؟[16]، فبطبيعة الحال هناك فرق شاسع بين الذكاء الإنساني والاصطناعي، فبالإضافة إلى فقدان المنطقية في التفكير، فتلك الآلات فاقدة للوعي الذي يميز الإنسان، لأنها لاتفرق بين اليقظة والإدراك والغفلة، وبالتالي لايمكن إدراج الوعي إلى صفاتها. إذ "يستخدم الفلاسفة تلك المفاهيم لحل المعضلة الشهيرة بين العقل والجسم، ولغز الإرادة الحرة، والعديد من الألغاز المتعلقة بالوعي.. إذا كان هناك أي نظام للذكاء الاصطناعي يمتلك شكلا حقيقيا من الذكاء أو الابداع أو الحياة"[17]. بطبيعة الحالات يقوم الإشكال على وجود جدلية في طبيعة تلك الآلات الاصطناعية، كونها فاقدة للإرادة الحرة، وحسن اختيار القرارات بما يتلائم مع إرادة الإنسان وحريته، لأنّ تلك الآلات تبقا دوما مقيدة ومتعلقة بالشخص الذي يصنعها ويبرمجها، وبالتالي فهي تتميز بعقلانية مبرمجة وغير واعية.

إذن فإن الروبوتات، تؤلف وجودا افتراضيا، ولغة رمزية تنفتح خلفها النوافذ المتضمنة. وهي كائن يأخذ الذات قسرا،.. فضاء افتراضي يختزل ذاته في الرموز.. وبناء نسيج سوسيولوجي مغاير للمعهود. مؤسسا لضروب من العلاقات الإنسانية، تتجاوز الفهم الفطري للقيم مثل قيمة الصداقة، الأُنس والحوار مع الآخر[18]. فالعالم الذي أصبح يحتوي على الذكاء الاصطناعي، والإنسان الآلي ستتغير مفاهيمه، وتتغير أنطلوجية الإنسان، بداية

بالعلاقات الإنسانية التي تغيرت مفاهيمها، وصار الناس يشكلون حديثا مع الآلة بدلا من الإنسان، وتصبح اللغة هي لغة رموز وإشارات وإيماءات، وتصبح القيم شبه خاوية، فقيم الحب والصداقة والتضامن بين الإنسانية، ستزول ويعوضها إنسان الروبوت، الذي لايعترف بالقيم أصلا، لأنه خاو من المشاعر والأحاسيس، فهل يمكن تصور عالم جاف بين الإنسان والآخر؟

هناك الكثير من الأطروحات الفلسفية المطمئنة حول مصير الإنسان في عالم التقانة الاصطناعية وسيادة الذكاء الاصطناعي، لأن هذا الأخير يفقد الأهلية التي تجعله يضاهي والإنسان الحقيقي، العاقل والمنطقي وإنسان المشاعر، ومن بينهم "جون سيرل".

يرى "سيرل" أن الحوسبة الصورية وحدها لن تتولد عنها القصدية. ومن ثم، فالذكاء الاصطناعي القوي مخطئ، ويستحيل الفهم الحقيقي في برامج الذكاء الاصطناعي، وأن المعاني المنسوبة الى برامج الذكاء الاصطناعي تنبع بالكامل من المستخدم البشري المبرمج. تلك المعاني مطلقة فيما يتعلق بالبرنامج نفسه، حيث انه فارغ من حيث الدلالات[19]. يؤكد "سيرل" على فقدان روبوت الذكاء الاصطناعي لفعل القصدية، هذه الأخيرة التي تعني علم الظاهريات والمزاوجة بين الذات والموضوع في إدراك الأشياء، بمعنى أنني حينما أفكر فأنا أقصد شيئا ما، وهذا ما يحتاجه التفكير ليكون صائبا، إذ تفقد الآلات هذا الذكاء من أجل الفهم الحقيقي وبالتالي تكون معرفتها نسبية ومبرمجة فقط، التي أعطاه إياها البشر وبالتالي فإن الذكاء الاصطناعي يستمد ذكاءه من الذكاء البشري في بداية الصنع، لأنه في البداية خاو من أي معنى، ومن هنا يستحيل تفوقه على الذكاء الإنساني.

4- أخلاقيات الذكاء الاصطناعي:

لابد من ضبط الانتهاكات على الإنسان، وأخلقة كل ميادين العلم والتكنولوجيا وتوجيهها توجيها عادلا خاصة بما يتعلق بالآلات التي تحل محل الانسان، وتهمشه، وتجعل من العالم عبارة عن كتلة من الرموز، وغياب العلاقات الإنسانية، وأطروحات العيش المشترك وتعرضها للهشاشة، وبالتالي سيتعرض الإنسان الى أزمة خانقة باعتباره كائن مميز بالعقل والوعي والكرامة البشرية التي لايجب التعدي عليها، ولا وجود لشيء في هذا الكون يمكن أن يسلب منه السيادة.

تطرح الكثير من الأسئلة في هذا المجال هل أفعال تلك الأنظمة قابلة للتقييم الأخلاقي؟ هل يتحمل الذكاء الاصطناعي العام بحق المسؤولية؟[20] بطبيعة الحال لاتتحمل الروبوتات المسؤولية اللازمة لكي نأمنها على حياة الإنسان، كما أنها خالية من الأخلاق وستصبح أفعالها الروتينية مهددة للإنسان لهذا لابد من وجود ضابط لها، لكي لا تتطاول على حياة الإنسان.

أصدرت منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، منظمة دولية 1947، تهدف إلى تحقيق التنمية الاقتصادية وإلى إنعاش التبادلات التجارية على المستوى الدولي، إذ أشار مدير العلوم والتكنولوجيا والابتكار في المنظمة، إن ماتم التوصل إليه يمكن أن يشكل قاعدة شاملة لمنظومة تشريعية دولية مأمولة تضبط تطبيقات الذكاء الاصطناعي حول العالم[21]. ومن بين أهم مخرجات هذه المنظمة الهادفة إلى وضع أخلاقيات للذكاء الاصطناعي، لكي يتمتع الإنسان بالأمان وابتعاد الخطر، ويمكن تلخيصها في:

- أن تراعي تطبيقات الذكاء الاصطناعي اعتبارات حقوق الإنسان في الأمن والحفاظ على التنوع واحترام العقل البشري وتدخلاته عند الضرورة لضبط التحولات التكنولوجيا المتقدمة والخادمة للمجتمعات كافة. والانتباه الى الأخطار التي قد تحدق بالبشرية نتيجة تلك التطبيقات، إذا انفلت عيارها بعيدا عن سيطرة الذكاء البشري، وهو مايتطلب إعادة التقييم المستمر والدائم للآثار والنتائج المترتبة عن الذكاء الاصطناعي.[22] وجب ضبط الذكاء الاصطناعي بما يتناسب مع الذكاء البشري من أجل التحكم فيه والسيطرة عليه، وتوقيفه حين يلزم الأمر، لأنّ الإنسان هو السيد الذي يستطيع التحكم في كل ماصنعه بيده، ووجب ضبط الآلات الذكية وفقا لمبادئ الحق الإنساني والحرية والقيم... وهذا لكي يتم احترام الانسان وكافة حقوقه، لكي لايفقد المعنى من الحياة، ولكي تكون له مكانة هامة في العالم، وليبتعد عن الأزمات التي تهدد وجوده وكيانه، وتثير القلق والتشاؤم، بفعل التعدي التقني عليه وعلى جسده وبيئته.
- التعاون الدولي في مجال الذكاء الاصطناعي وتطبيقاته وتعزيز الاستثمارات الدولية، وتأهيل قطاعات العمل في دول العالم وبخاصة الدول النامية على التعامل مع التكنولوجيا المتطورة من خلال شبكة تعاون دولية فعالة ومؤثرة[23]. إن التعاون الدولي يعزز التوجيه العادل للذكاء الاصطناعي، بحيث تكون الغاية منه هي الاستفادة من

التنمية العالمية، وتعزيز الاقتصاد العالمي عبر استفادة كافة الدول من مجال الذكاء الاصطناعي، وليس السيطرة، وسيادة طرف على طرف آخر، عن طريق امتلاكه لهذه الأجهزة الذكية.

خاتمة:

بعد عرض محتوى الذكاء الإنساني والاصطناعي من وجهة نظر فلسفية يمكن أن نستنتج أنّ الإنسان الذي اخترع التقنية بنفسه لطالما وضعته في أزمات عديدة، من قبيل التعدي عليه وعلى جسده، من خلال التجريب المستمر عليه، وفي الثورة الصناعية الرابعة حيث تم تطوير تقانات الذكاء الاصطناعي، عبر أنظمة ذكية توازي الذكاء البشري، وتسلب منه السيادة والمركزية، من خلال اعتبار أن ذكاءها جدّ متطور مقارنة بالذكاء البشري، منذرة بفناء الجنس البشري، في ضوء هذه الأزمة تفتح الكثير من السجالات الفلسفية حول ضرورة الإعلاء من الذكاء الإنساني كون أن هذه الآلات فاقدة للأهلة البشرية المتميزة بالوعي والذكاء المنطقي والقيم والقصدية، وأنها بطبيعة الحال تستند إلى برمجة بشرية، مما يدل على عدم رقيها إلى منزلة الذكاء الإنساني، وبالتالي وجب ضبط كل الانتهاكات السائدة ووضع أخلاقيات للذكاء الاصطناعي، وبرمجتها بصورة منطقية تضع معاييرا لحقوق الإنسان وقيمه عبر توجيهها توجيها عادلا لخدمة الانسان في مجالات عملية، وتنمية كل الدول النامية.

الهوامش والإحالات

(1)– مصطفى النشار، الفلسفة التطبيقية وتطوير الدرس الفلسفي العربي، ط1، روابط للنشر والتوزيع مصر، 2018، ص 18.

(2)– المرجع نفسه، ص19.

(3)– أحمد عبد الحليم عطية، ايتيقا الراهن، إصدارات كلية الآداب جامعة القاهرة، مصر، 2007، ص13

(4)– ناهدة البقصمي، الهندسة الوراثية والأخلاق، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1993، ص206.

(5)– فرانسيس فوكوياما، مستقبلنا ما بعد البشري عواقب ثورة التقنية الحيوية، ط1، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الإمارات، 2006، ص114.

(6)– نورة بوحناش، البيواتيقا والفلسفة، من الإنسان الفائق إلى الإنسان المتزكي، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، بيروت،2017، ص 263.

(7)– روزي بريدوتي، مابعد الانسان، تر: حنان عبد المحسن مظفر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت، 2021، ص14.

(8)– عبير أسعد، الذكاء الاصطناعي وتطبيقاته في حياتنا اليومية، ط1، دار ومكتبة الكندي للنشر والتوزيع، 2020، ص11.

(9)– المرجع نفسه، ص10.

(10)– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(11)– مارجاريت ايه بودين، الذكاء الاصطناعي مقدمة قصيرة جدا، تر: إبراهيم سند أحمد، مؤسسة هنداوي، مصر، 2017، ص12

(12)– مركز البحوث والمعلومات، الذكاء الاصطناعي، مركز رؤية، السعودية، 2021، ص6

(13)– عبير أسعد، الذكاء الاصطناعي وتطبيقاته في حياتنا اليومية، مرجع سابق، ص12.

(14)– ارجاريت ايه بودين، الذكاء الاصطناعي مقدمة قصيرة جدا، مرجع سابق، ص 109.

(15)– عبير أسعد، الذكاء الاصطناعي وتطبيقاته في حياتنا اليومية، مرجع سابق، ص24.

(16)– المرجع نفسه، ص27.

(17)– مارجاريت ايه بودين، الذكاء الاصطناعي مقدمة قصيرة جدا، مرجع سابق، ص12.

(18)– نورة بوحناش، البيواتيقا والفلسفة، مرجع سابق، ص120.

(19)– مارجاريت ايه بودين، الذكاء الاصطناعي مقدمة قصيرة جدا، مرجع سابق، ص121.

(20)– المرجع نفسه، ص125.

(21)– مدحت محمد أبو النصر، الذكاء الاصطناعي في المنظمات الذكية، ط1، المجموعة العربية للتدريب والنشر، مصر، 2020، ص157، 158.

(22)– المرجع نفسه، ص 158، 159.

(23)– المرجع نفسه.